

الطلاق ظاهرة تتفشى فى المجتمعات العربية

ونطرح هنا تساؤلاً مهماً هل هى زوجة أم سيارة؟
انتشرت ظاهرة الطلاق فى مجتمعاتنا بشكل لافت للنظر،
ونحن فى غاية الأسف لانتشار ظاهرة الطلاق فى العديد من مجتمعاتنا،
حتى بين المثقفين؛ فنجد الرجل لأتفه الأسباب يقسم بالطلاق على
زوجته، وكأن الرجولة فى تطبيق هذه المسكينة وهدم حياتها الأسرية،
وتسرد لنا الدكتورة آمال عبد الرحيم بكلية آداب قسم علم الاجتماع
بجامعة دمشق حكاية أحد الزملاء وهو أستاذ جامعى ذهب فى رحلة
عمل لإحدى دول أوروبا، وهناك تعرف إلى فتاة أوروبية، وتزوجها
وعاد معها لبلده، ومن ثم طلق زوجته ذات الأولاد الثلاثة... لماذا؟
فقط لمجرد التغيير، لأنه أراد استبدال أخرى بها، وكان المرأة
أصبحت كالسيارة أو الأثاث تستبدل من فترة لأخرى، فظاهرة الطلاق
أصبحت منتشرة لمجرد الطلاق، ولا تنحصر فى فئة معينة بل هى
موجودة فى كل الطبقات بل ربما هى بين المثقفين أكثر منها بين عوام
الناس، فلماذا لانغير نواتنا بدلاً من أن نغير زوجاتنا.

استقلالية المرأة والطلاق

كلما زادت استقلالية المرأة، ونعني بها الاستقلال المادي زاد طلبها للطلاق! ولو رجعنا إلى وضع المرأة قديماً نلاحظ أن نسبة الطلاق كانت قليلة لا تعنى استقراراً أو سعادة في أغلب الأحوال، ولكن المرأة كانت تفكر إذا طلبت الطلاق فإلى أين تذهب؟ ومن ينفق عليها؟. وقسوة نظرة المجتمع لها، لذلك ترجع نفسها وتروضها على حياة قد لا تكون سعيدة فيها خوفاً من مستقبل لا تبدو ملامحه واضحة، أما مع مواكبة الحضارة وتحقيق استقلالياتها أصبحت أكثر جرأة في طلب الطلاق إذا ساءت الحياة بين الطرفين، دون الحاجة إلى رجل لا تستطيع أن تحقق معه سعادتها.

الأطفال أولاً للأسف

يوجد حالياً الكثير من الرجال والنساء يلجأون، إلى الطلاق لأسباب تافهة لا معنى لتضخيمها لتصل إلى حد الطلاق، وأثبتت مركز للإحصاءات القضائية أن أكبر نسبة للطلاق تكثر في السنوات الأولى من الزواج حيث يحاول كل من الزوجين إثبات ذاته، ويرفض أي تنازلات، على اعتبار أن أي تنازل يترجم على أنه نوع من الضعف الذي يرفضه كلاهما في البداية، وبتتالي الحياة ومجىء الأطفال تنخفض النسبة فكلما زاد عدد الأطفال انخفضت نسبة الطلاق، فتشير الإحصاءات عند وجود طفل واحد تكون النسبة ٢٥ ٪ ومع وجود طفلين تكون النسبة ١٧ ٪ وهذا مؤشر على انخفاض نسبة عدد الطلاق.

مراهقة الأربعين

هل للمرحلة الثانية من عمر الزواج والتي تسمى بمراهقة الأربعين دور في الطلاق؟

في الآونة الأخيرة ازدادت نسبة الطلاق بين أعمار الأزواج التي تتراوح بين ٤٠-٥٠ عاماً، ولمعرفة أسباب الطلاق بين الذين يكون قد مضى على زواجهم سنة أو أكثر، ولماذا هذه المرحلة العمرية بالتحديد؟

إن حالات الطلاق في تزايد يوماً بعد يوم، والمشكلة ليست في نسب الطلاق إنما في أسباب وقوعه بين الزوجين، خصوصاً الذين عاشوا معاً لفترة زمنية طويلة، ويعود ذلك في نظر البعض إلى الخرس الزوجي وتقاعد الزوجة جنسياً. ولكن لم تلاحظ أى دراسة تشير إلى هذه العلاقة زيادة نسبة الطلاق، ولكن بالتأكيد يوجد بعض الأزواج ومع ارتفاع مستواهم المادى يلجأون إما إلى الطلاق وإما إلى التعدد الذى لا داعى له سوى وفرة المال، فيلجأ للزواج بأخرى لتتناسب مع مكانته ووضعه الاجتماعى، وفي مصر مثلاً يقبل على الزواج الثانى ٣٠,٣ ٪ من المطلقين مقابل ٥٦,٤ ٪ من المطلقات، وفي سوريا يقبل على الزواج الثانى ٤٥ ٪ من المطلقين و ٣٠ ٪ من المطلقات، وفي الخليج يقبل على الزواج الثانى ٧٩ ٪ من المطلقين و ٢٩ ٪ من المطلقات، وتكثر في مجتمعاتنا العربية ظاهرة زواج صغار السن من الفتيات من رجال كبار السن، حتى تصل أحياناً إلى ٩ ٪ في بعض الدول.

المطلقة معاناة وتنازلات

هل ما زالت المرأة الشرقية تعاني من إطلاق لقب مطلقة عليها ؟
نعم إلى حد كبير تخاف المرأة العربية من كلمة مطلقة، ولا يمر عليها حدث الطلاق بشكل عادى بل جرت العادات على أن تساند نساء الحى المطلقة، ويقفن إلى جانبها بعد طلاقها لتخفيف هذه المصيبة التى لحقت بها، وتشعر المطلقة إلى الآن فى مجتمعنا بالوحدة وبأن الجميع لم يعد يرغب فيها، ومازالت تعامل بشىء من الدونية وكأنها مخلوق ناقص أو به عيب، حتى عندما يتقدم لها رجل خاطباً إياها فلا بد أن يكون أرملاً أو مطلقاً أو مرفوضاً من قبل من هى بكر؛ كأن يكون مريضاً أو به عاهة ما. وتعامل على أساس القبول به فقط وليس من حقها الرفض أو الاختيار فطلاقها نقطة ضعف يقلل من شأنها فى المجتمع فيكون لها رد فعل عكسى تحت ظروف نفسية بيولوجية وعضوية إلى أن تقبل البديل ولو على حسابها.

وعن آثار الطلاق الخطيرة على بنيان الأسرة والمجتمع ، فلا شك أن للطلاق آثاراً سيئة ومدمرة على المطلقة من النواحي النفسية والاجتماعية وبخاصة إذا كانت غير متعلمة ، ولا تستطيع الاعتماد على ذاتها من الناحية الاقتصادية، ولو كانت مستقلة فإن ذلك يعطيها راحة نفسية تشعر معها بأنها ليست عالية على أهلها، إلا إنها تظل متشائمة ومحبطة ولا حيلة لها. أما عن الأطفال فهم أكثر تضرراً وخاصة أنهم فى طور التكوين، مما ينعكس على نفسياتهم، فقد يترتب على ذلك أن

ينشأ الطفل وهو كاره للعلاقة الزوجية. ويذهب الأطفال في كثير من الأحيان ضحية الزواج الفاشل فينشؤون موزعين جسماً ونفسياً وعقلياً بين الأب والأم مما يسبب لهم صدمات نفسية حادة، مثل كره الأبوين والحسد تجاه من يعيشون حياة الاستقرار وحب السيطرة والتملك والسادية، ويصبحون في العادة مجموعة من العقد النفسية.

الطلاق والزواج المبكر

بدأت تنتشر بصورة ملفتة ومفزعنة في مصر حالات الطلاق في السنوات الأولى من الزواج وهو الأمر الذي أكدته آخر الإحصائيات الصادرة عن المراكز البحثية المتخصصة. الغريب أن هناك حالات كثيرة من الطلاق تقع في ليلة الزفاف؛ رغم وجود الحب بين الطرفين إلا أن هذا الحب لم يستطع الوقوف حائلاً دون وقوع الطلاق المبكر. وإذا كان إجمالي عدد المطلقات في مصر يصل إلى ٥,٢ مليون مطلقة فإن النسبة الأكبر من هؤلاء تخص المتزوجات حديثاً ممن تتراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين... وهو ما يدعونا للتوقف لدراسة تلك الظاهرة. ربما تكون تجارب المطلقات الصغيرات مفتاحاً للتوقف على أسباب ظاهرة الطلاق المبكر.. وبرغم أن كثيراً من التجارب كانت مبنية على حب إلا أن رصاصة الطلاق كانت هي الحل الأرحم والبديل لاستمرار نزيف المشاعر الإنسانية تحت سقف مهدد بالانهيار وربما الانفجار في أية لحظة.

«أميرة» كانت ضحية للطلاق المبكر تقول: تزوجت فى السادسة عشرة من عمرى هرباً من الفقر والجوع الذى حاصرنا أنا وأخواتى بعد وفاة أمى بعد رحلة طويلة مع المرض والحسرة التى أصابت أمى بعد أن هرب أبى من تحمل مسئولية الصغار بحجة أنه سيسافر للعمل واخفى دون أن نعلم عنه شيئاً فقررت الارتباط بأون شخص يتقدم لى بعدما سبقتنى أختى الكبرى فى الزواج، وتم الزواج الذى أسفر عن طفلين وبدأت الحياة فى الانحدار بعدما عرف زوجى طريقه للمخدرات وبدأ يعاملنى بقسوة وامتنع عن الإنفاق على وعلى أبنائه الصغار، وفى جلسة معاتبة له محاولة منى لإصلاحه لم يكلف نفسه خاطراً سوى أن يرمى يمين الطلاق وأصبحت مطلقة وأنا لم أكمل عامى الواحد والعشرين.

«سهام» ضحية ثانية للطلاق فى السنوات الأولى من الزواج تروى بعيون شاردة حزينة تجربتها المأساوية والتى تم طلاقها بعد شهرين فقط من زواجها لتصبح مطلقة فى شهر العسل.

تقول: تخرجت فى الجامعة لأشق طريقى فى الحياة العملية التى كانت بالنسبة لى نافذة للعالم الذى طالما حلمت به لأكون كياناً قويا فعلا وسط المجتمع هرباً من الجهل الذى يسود جو عائلتى التى ترى أن البنات مصيرها لبيتها وزوجها، وأن العمل لن يضيف إليها شيئاً بل سوف يعطلها عن تكوين أسرة.. وبالفعل تمت خطبتى على الشخص الذى وجدوا أنه مناسب (ويقدر يفتح بيت).. وتم الزواج بالفعل لاصطدم بالواقع ويصدق حدسى فالرجل الذى تزوجته لا يصلح للزواج

أصلاً واضطرت تحت ضغوط المعيشة معه إلى طلب الطلاق، وهو لم يتردد في التفكير وأرسل إلى ورقة طلاقى لأصبح مطلقة بعد شهرين من الزواج. تلك التجارب مجرد نماذج لعشرات الحالات وربما تكون الأسباب والدوافع متعددة لكنها فى النهاية تدعونا للتساؤل حول ظاهرة الطلاق المبكر !!

الفقر.. الجهل.. والتدليل أو الرفاهية قد تكون عوامل مساعدة على حدوث الطلاق. وليست أسباباً رئيسية، إن الطلاق المبكر ناتج عن زواج مبكر وهو يعنى أن الزوج والزوجة قد يكونان فى سن صغيرة وهو ما يعنى انعدام الخبرة الحياتية وخاصة إن كان سن الزواج صغيراً، أما إذا كانت الزوجة صغيرة والزوج يكبرها بسنوات كثيرة فليست هناك مشكلة، فقد تمر سفينة الحياة بسلام لأن الرجل هو رمز المسؤولية والعطاء ورمز القدوة فى أسرته فيستطيع بخبرته وفطنته تجاوز بعض المشكلات والخلافات التى قد تطرأ على الحياة الزوجية. علاوة على ذلك فإن الضغط النفسى على الفتاة لقبول الزواج يتسبب فى حدوث القلق والتوتر لها فيغلق عليها دائرة الاختيار بين البدائل فتندفع فى الزواج وتفشل وإن كان ذلك الأسلوب يرجع إلى المستوى الطبقي والثقافى للأسرة؛ فاختيار شريك الحياة خطوة هامة لاستمرار الحياة الزوجية، والإندفاع والسرعة فى اختيار شريك الحياه يؤدي إلى مفاجآت وصددمات بعد الزواج بسبب اختلاف الطباع والمزاج والميول فتحدث قطيعة نفسية لا يستطيعان التعايش معها ثم يحدث الطلاق.

ولا نستطيع أن نغفل دور العوامل البيولوجية؛ أي عدم التوافق الجنسي بين الزوجين لأن الزواج نظام اجتماعى جنسى؛ فالجنس حاجة طبيعية مثل الطعام والشراب، وعدم التوافق الجنسي بين الزوجين قد يؤدي إلى فتور فى العلاقة الزوجية التى هى فى الأساس علاقة واقعية متكاملة الأركان، وحدث خلل فى أى ركن من ركائزها قد يؤدي للفشل.

الطلاق والطبقات الراقية

نجد أن الطلاق يزداد فى الطبقات الراقية عنه فى الطبقات المتوسطة أو الفقيرة؛ وذلك بسبب انعدام المسؤولية التى تنعدم معها أهم الأسس والمبادئ التى تكفى لإقامة أسرة أو بيت، فنسبة الطلاق فى الطبقات الفقيرة قليلة أو تكاد تكون منعدمة بالمقارنة بمثيلاتها فى الطبقة الراقية وذلك بسبب النظرة المشوهة التى تتعرض لها الفتاة المطلقة فى المجتمع، الذى دائماً ينظر بعين الشك، فلا تجد مفرأ سوى التحمل حتى لا تحمل لقب مطلقة.

مصر الأولى عالمياً فى حالات الطلاق

كشفت دراسة خطيرة بمركز معلومات دعم واتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء أن معدلات الطلاق فى الخمسين سنة الماضية ارتفعت من ٧٪ إلى ٤٠٪ أى بمعدل ٢٤٠ مطلقة فى اليوم الواحد ليبلغ عدد المطلقات ٢,٥ مليون مطلقة فى مصر، وأشارت الدراسة التى استعانت

بإحصائيات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء إلى أن ٤٠٪ من حالات الزواج انتهت بالطلاق. وازدادت الدراسة أن ٥٠٪ من حالات الطلاق فى مصر تقع خلال السنة الأولى وأن معظم المطلقين لم يتعدوا سن الثلاثين. فى حين تقع ٣٤,٥ فى المائة من حالات الطلاق فى العام الأول للزواج، بينما تنخفض النسبة فى السنة الثانية إلى ١٢,٥٪. وأشار التقرير إلى أن ٤٢٪ من حالات الطلاق تحدث نتيجة عجز الزوج عن الوفاء باحتياجات أسرته وأولاده، وأن ٥٢٪ من حالات الطلاق تقع بين أزواج يتراوح متوسط العمر بينهما ما بين ٢٠ و ٢٥ سنة فقط. وأشارت التصنيفات إلى أن ٥,٣٪ من أسباب الطلاق كانت تعود لتدخل أهل الزوجة فى الحياة الزوجية بينما يمثل أهل الزوج نسبة ٦,٢٪ من أسباب وقوع الطلاق. وقد تصدرت مدينة بورسعيد المصرية قائمة المحافظات التى تضم أكبر عدد من المطلقات، تليها الإسماعيلية، ثم السويس، وهى محافظات القناة، واحتلت القاهرة المرتبة الرابعة.

ويشير التقرير إلى أن الرجال أكثر قدرة على تجاوز الموقف والاستمرار فى حياتهم، وهو ما تؤكدته أعداد المطلقات اللاتى لم يتزوجن مرة أخرى، وقد قدرت أعدادهن بـ ٢٠٦ آلاف مطلقة مقابل ٥٨ ألف رجل، ما يؤكد سرعة ارتباط الرجل والزواج بأخرى بعد طى صفحة الزواج الأول. ويؤكد التقرير أن باعث الطلاق يبدأ غالبا من طرف الزوجة، خاصة فى حالة سوء معاملة الزوج لها، فبينما لا يميل الأزواج إلى الطلاق نظرا لما يترتب عليه من أعباء مالية واجتماعية بما

تشمله من مصروفات النفقة والمؤخر، إضافة إلى فقدان المسكن في حالة إذا كانت الزوجة حاضنة طبقاً لأحكام قانون الأحوال الشخصية، آخذاً في الاعتبار أزمة السكن. ولهذا فقد كشفت الاحصائيات أن ٦١٪ من المطلقات هن البائدات بالتفكير في الطلاق قبل ازواجهن.

الطلاق يحطم نفسية الرجل أكثر من المرأة

أثبتت دراسة علمية حديثة أن الرجال هم المتضررون من الطلاق في المقام الأول، وليست النساء كما يزعمون، كما أشارت الدراسة التي شملت عشرة آلاف رجل مصري إلى تزايد نسبة الرجال المطلقين الذين يعانون أمراضاً جسدية ونفسية، كما أفادت أيضاً أن الإقبال على الانتحار لدى هؤلاء يفوق مرتين ونصف معدل الرجال المتزوجين. وتؤكد الدراسة أن الآراء التي تزعم بأن الرجل أسرع على التأقلم بعد الحياة الزوجية ما هي إلا انعكاس لموروث ثقافي خاطيء؛ لأن الرجل مثله مثل المرأة، كلاهما يتأثر بالحدث حسب عدة عوامل، أهمها تاريخه الشخصي ونمط حياته والأمور التي تعرض لها وواجهها، بالإضافة إلى الثقافة والبيئة.

من ناحية أخرى أكدت دراسة ميدانية مصرية أجراها باحثون في قسم علم الاجتماع جامعة عين شمس بمصر، أن معظم الرجال الذين سبق لهم خوض تجربة الزواج وفسلوا فيها، معرضون للإصابة بالاضطرابات النفسية جراء هذا الفشل، وأن «الرجل المطلق» يعاني

غالباً من عدم القدرة على التكيف اجتماعياً بعد الطلاق، كما يواجه صعوبات فى خوض التجربة مرة أخرى باعتباره « رجل له ماضٍ». أما أطباء الصحة النفسية فيؤكدون أن السبب الآخر الذى يضايق الرجال بعد الطلاق ليس فقط فقدان دورهم كأزواج ولكن خسارتهم لدورهم كأباء، فالأم تلعب بعد الطلاق دور الأب والأم معاً، أما الزوج فيخسر دوره كأب.

وما يزيد الأمر تعقيداً أن الرجال يحملون أنفسهم مسئولية الطلاق، فالرجل هو الذى يصعق ويفاجأ حين يعلم بقرار الطلاق على الرغم من أن الزوجة ترسل له الكثير من الإشارات التى تنبئ بانتهاء العلاقة، ولكنه يفاجأ فى نهاية الأمر بأنه خسر كل شيء:

دوره كزوج وأب، وربما خسر ماله وبيته أيضاً كما يحدث فى بعض المجتمعات الغربية فالزوج المطلق أكثر معاناة من المرأة التى غالباً ما تتأقلم مع وضعها الجديد، فالنساء أكثر قدرة من الرجال على تحمل صدمة الطلاق، فالرجال يميلون عادة إلى كبت أحزانهم وعدم البوح بها للغير كما تفعل معظم النساء، مما يعرضهم إلى أمراض جسدية ومشكلات نفسية عديدة بعد الطلاق، وإن كان هذا لا ينفى وجود آثار إيجابية يمكن أن تحدث نتيجة للطلاق، فقد يدفع الإحساس بالفشل الرجل إلى الثورة على نفسه وإثبات ذاته والتغلب على مرارة التجربة والخطأ.

رومانسية الأفلام

ترجع أسباب الطلاق المبكر في مصر إلى الرومانسية الوهمية التي رسمتها الأفلام العربية القديمة في عقول الشباب فاعتقدوا أن الحب هو السعادة التي تنتهي بزواج هادئ وبناء عليه ينفصلوا مع أول مشكلة حقيقية.

لقد قدست جميع الأديان السماوية الزواج، لأن الهدف منه إعادة إنتاج بصورة منظمة وشرعية، وبالرغم من ذلك فإننا نفاجأ بأن هذا النظام الاجتماعي الشرعي مهدد بشبح اسمه الطلاق.

لذا على الزوجين أن يفهما جيداً أن الحب وحده ليس معيار نجاح الزواج فنحن لا نزوج شاباً لفتاة وإنما أسرة لأسرة بكل عاداتهم وتقاليدهم وخلفيتهم الثقافية والاجتماعية والدينية.

مسلسلات ترفع نسب الطلاق بمصر

كشفت دراسة اجتماعية حديثة عن وجود علاقة بين الدراما التليفزيونية وارتفاع معدلات الطلاق في مصر بصورة متزايدة. وبحسب الدراسة التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أنه قد بلغت النسبة وفقاً لآخر الإحصائيات أكثر من مائة ألف مطلقة عام ٢٠٠٩.

وأكدت الدراسة أن النظريات العالمية المفتعلة تؤكد ماللتلفزيون من أثر كبير على تكوين اتجاهات وآراء وأفكار أفراد المجتمع، ما يحدث نوعاً من التراكمات لدى الفرد من خلال المعلومات التي يستقيها

من التليفزيون، حيث يكون أحد المصادر العامة لتكوين السلوكيات والمعلومات. وأشارت الدراسة إلى أن نظرية الفرز الثقافي يمكن تطبيقها على العلاقات الزوجية داخل المجتمع، حيث تقوم بإحداث نوع من الصراع بين الأفكار التقليدية المتوارثة عند الزوج والزوجة وما يعرض في الدراما لينتصر في النهاية الفكر التليفزيوني.

رجل مستبد وامرأة متمردة

وفق الدراسة، فالدراما التليفزيونية تركز على نموذجين من العلاقة بين الرجل والمرأة، الأول يظهر الرجل مستبداً يسيء معاملة زوجته ويخونها وغير قادر على أن يكون زوجاً جيداً، مقابل ذلك تظهر المرأة متمردة طالبة الطلاق وقد يصل الأمر للخيانة.

أما النموذج الثاني، فيظهر الزوج بشكل مثالي يفيض بالعواطف ويحقق للزوجة جميع طلباتها وهو ما يدفع الزوجة لعقد مقارنات بين ما تراه من الرومانسية بالدراما وما يفعله الزوج معها، وكلتا الصورتين تسببان للزوجة مشاكل تدفعها للتمرد والإحساس بالظلم من الحياة الزوجية المليئة بالمقارنات الظالمة؛ ما يدفعها للطلاق أو الخلع. وأشارت الدراسة إلى أن الدراما المصرية تبرز المرأة في صورة المتمردة غير القابلة لسلطة الزوج وأنها تريد أن تثبت وجودها وكيانها داخل المجتمع، وتجعل البيت المكان الثاني أو «لوكاندة» لها ولأسرتها، ويؤدي ذلك لكثير من انحرافات أفراد الأسرة كلها.

كما أن الدراما تروج لظاهرة غريبة لأفكار تسلط المرأة والرجل والدخول في صراع أسرى تظهر الأسرة فيه وكأنها في مباراة؛ فتظهر العلاقة الزوجية غير سليمة تختلف عن الواقع التقليدي الديني الذي حدد فيه الله الأدوار والتكامل بينهما.

ونعرض لأهم أسباب الطلاق في بعض البلدان التي ترتفع فيها حالات الطلاق.

الطلاق في سورية

إن معالجة وتقليل نسب الطلاق تكمن في تفادي أسباب الخلل بين الطرفين والتفاوت فيما بينهما، ومن خلال بحث اجتماعي على عينة في العاصمة السورية وريفها، وجد أن من أهم أسباب الطلاق كان الزواج المبكر ما بين ١٧-٢١ بالنسبة للشباب و ١٢-١٨ للفتاة ونسبتهم ٥٦,٧% في دمشق وريفها. أما سوء الاختيار، حيث دلت الدراسات أن معظم الأفراد للعينة ونسبتهم ٧٧% اختاروا بطريقة تقليدية أي أن الأهل هم من اختار لهم الشريك الآخر، مقابل ٢٣% منهم اختاروا بطريقة معاصرة، وكان الأهل هم يزوجون وهم يطلقون، وكذلك تدخل الأهل والسكن معهم كان له دور في الطلاق.

وأما العوامل النفسية كالغيرة وسوء الانسجام العاطفي «الجنسي» وقلة التعليم وكلها أسباب ساهمت في فشل بعض الزوجات، فلا بد من تضافر الأيدي من مستلزمات سكنية للشباب ومساعدتهم وانتشار

الوعى والتعليم كلها تسهم فى رفع سوية الفرد وجعله عضواً فعالاً فى المجتمع ككل.

الطلاق فى الكويت

أصبح الطلاق من الظواهر الاجتماعية فى المجتمع الكويتى فى كل المجتمعات العربية من الدراسات وفى دراسة لوزارة العدل الكويتية أشارت إلى تزايد نسبة الطلاق فى الكويت حيث شكلت ما نسبته ٣٥,٦% من حالات الطلاق أى أن هناك ما يزيد عن حالة طلاق بين كل ثلاث حالات زواج وتلك النسبة فى ازدياد مستمر.

لكن إن كان الله عز وجل شرع الزواج ووضع بين الزوجين المودة والرحمة وأن به يتحقق الاستقرار والأمان وهدوء النفس وراحة البال، فلماذا اذن ينقلب ذلك الى شقاق وصراع بين الزوجين؟ ولماذا ينقلبان خصمين متناحرين فى ساحات المحاكم فيتبدل الحب الى كراهية والسكن الى فزع والهدوء الى صراع

هناك أسباب عديدة ذكرتها الدراسات التى تناولت هذه الظاهرة بالبحث منها:

- ١- أسباب تتعلق بعدم التكافؤ بين الزوجين فى المستوى الاجتماعى أو الثقافى أو التعليمى أو الأخلاقى أو الدينى أو العمري.
- ٢- أسباب تتعلق بالسلوك الشخصى الناتج عن اختلاف طباع الزوجين وعاداتهم وتقاليدهم.

٣- أسباب تتعلق بالعوامل المادية كبخل الزوج أو عدم قيامه بمسئوليته المادية.

٤- أسباب تتعلق بالزواج المبكر وعدم نضج أحد الزوجين أو كليهما وفارق السن.

٥- أسباب تتعلق بتعدد الزوجات أو رفض الرجل لعمل المرأة واستقلاليتها عنه اقتصادياً، وتتداخل بذلك الأدوار وتقوى شوكة المرأة ويصبح بإمكانها اتخاذ القرارات عن الرجل أو عدم الرجوع إليه في العديد من الأمور وهذا إنما يزيد الفجوة بينهما ويشعر كل منهما أنه لم يعد بحاجة إلى الآخر، أو أنه يمكنه الاستغناء عن حاجته للطرف الآخر بسهولة.

وقد لاحظ الباحثون أن نسبة عالية من الطلاق تقع عند المتزوجين حديثاً ممن هم في مراحل عمرية صغيرة مقارنة بالمرحلة العمرية الأكبر وتعد أكثر أسبابه شيوعاً على الصعيد المحلي.

ذكرت مصادر مسئولة في محاكم الكويت أن أسباب الطلاق الأكثر شيوعاً هي:

- ١- ضرب الرجل لزوجته وسبها وشتمها.
- ٢- عدم اهتمام المرأة بمنزل الزوجية وترك الأمر لخادمتها وتواجدها خارج المنزل لفترات طويلة عند أهلها أو أصدقائها.
- ٣- امتناع الزوج عن الانفاق على زوجته وأولاده.

٤- تمسك الزوجة بآرائها الخاصة والانصياع لنصائح أهلها التي تكون ضد حياتها الزوجية.

٥- سكن الزوج فى منزل العائلة مع أخوته الامر الذى تنتفى معه استقلالية الزوجة بمسكن الزوجية وبالطبع تدخل أهل الزوج فى شؤونهما الخاصة.

٦- تعاطى الزوج للمخدر وإدمانه الكحول الامر الذى يجعله منشغلاً بشكل دائم عن الاهتمام بأمور أسرته.

٧- كثرة الاتصالات الهاتفية للزوجة وزيادة عدد صديقاتها واستقلالها مادياً عن الرجل.

٨- زواج الرجل بأخرى أو مصادقته لبعض النساء داخل الكويت وخارجها

أثر الطلاق على الأطفال

يعد الطلاق صدمة قوية للأطفال، اذ يكون وقعها عليهم مؤلماً من الناحية النفسية والأسرية بحيث تقل رعايتهم الأبوية وتتدهور صحتهم وتهبط معنوياتهم فيواجهون هذا الانحطاط المعنوى بالبكاء واليأس، فغياب الأب يثير عندهم القلق ويبلور مشكلات اقتصادية واجتماعية لأنه عند تمزق النسيج الاسرى تتغير حياة الأبناء لتصل إلى حالة سيئة تترجم على شكل توتر وقلق واضطراب، فتذبل الحيوية لديهم وتتعطش عواطفهم للمحبة والرعاية، فضلاً عن حاجتهم للأشياء

المادية التى تتزايد مع عمرهم وهبوط دخلهم المالى بسبب عدم تقديم العون المالى من الأب أو لقلته فى أغلب الأحيان.

ومن هنا فلا يشعر أبناء المطلقين بسعادة طفولتهم وهناك جو أسرهم لأنه مشحون بالفراغات، ومن ثم يهربون من هذا الزلزال الذى أصاب حياتهم؛ فينقطعون عن الدراسة ويلجأون إلى أصدقاء السوء أو استخدام المخدرات كمسكن لعذاباتهم وآلامهم النفسية وحرمانهم من عطف الأب والأم. وينشأ الطفل متعطشاً للحنان والرعاية مفتقداً لمبادئ وتعاليم كثيرة فيتخبط فى الحياة ولا يقوى على مجابقتها ولا يستطيع أن يضع له مستقبلاً ويضحى عبئاً على المجتمع وعنصراً غير مفيد.

الخيانة الزوجية والطلاق

الخيانة الزوجية سبب من أسباب الطلاق ترى ماهى أسباب الخيانة الزوجية؟

○ يقول أحد الأزواج: تزوجتها فى سن مبكرة وشعرت أنى لم أحسن الاختيار.

ويقول آخر: زوجتى تفعل كل ما تستطيع لإرضائى، إلا إننى أشعر تجاهها أنها مربية أطفال جيدة ولكن ليست رفيقة الدرب كما كنت أحلم.

ويقول آخر: حياتى الزوجية باردة جداً ورتيبة ومملة، وليس لدى دافع للتحدث معها لأنى أشعر أنها لا تفهمنى، ويقول آخر:

زوجتى مهملة ولا تهتم بماذا يريد الآخر، وتتصور أننى أسير فى سجن الزوجية ولن أنظر لغيرها مهما حدث.

ويقول آخر: ترى زوجتى النساء من حولها وهى كما هى لا تتغير، وزميلتى فى العمل تشعرنى أن الحياة جميلة حتى إننى أشعر معها أنى مراهق فى سن ١٨ سنة وأنا فى الأربعين لذلك سأتزوجها.

وتقول هذه الزوجة: زوجى يطلب منى كلمات الحب والغرام وأنا لا أستطيع، ولا أتقن فن التعامل مع الرجل وخاصة فى العلاقة الخاصة. ويقول هذا الزوج: وجدتُ الحب فيها وافقدته مع زوجتى، ووجدتُ عندها ما لم أجدّه عند زوجتى، أفكر بجديّة فى الزواج منها.

فى بداية الزواج يعتقد كل زوج وزوجة بأنه هدية من الله تعالى للطرف الآخر، وعندما يستمعان إلى مشكلة زوجية حدثت بين اثنين يستغربان حدوث ذلك، وبعد مرور الأيام ومضى السنين إذا بهما يمران بمشاكل لم تكن متوقعة. وأكثر المتزوجين لا يدركون أن عمر الإنسان له أثر فى تغيير نفسيته وطباعه، والمشاكل الزوجية تنشأ عندما لا يراعى الزوجان أحكام السن وتقدمه وتقدم العمر الزوجى، واختلاف حاجات الطرف الآخر بتغيير المراحل العمرية وخصوصاً المراحل العمرية الزوجية. يَحتمل أن يطرأ على العلاقات الزوجية متغيرات؛ فقد تتغير سلوكيات الزوج وتصدر عنه تصرفات غير مشروعة وقد تكون محرمة كالخيانة الزوجية، وهذه التصرفات لا

شك أنها تعبر عن شخصية فاعلها أو مقدار تدينه وعلمه وفهمه كما هي تعبير واضح أيضاً عن نوعية العلاقات الزوجية ومقدار رسوخها وتعلق الطرفين بها.

وبالرغم من أن الخيانة الزوجية ليست أمراً شائعاً في عالمنا العربي الإسلامي، إلا إننا لا ننكر حدوث مثل هذه الحالات التي ندرجها تحت المشاكل الزوجية السلوكية.

والسؤال الآن:

ما هي أسباب الخيانة الزوجية؟

هناك الكثير من الأسباب التي قد تدفع الأزواج إلى الخيانة الزوجية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

○ عدم اهتمام الزوجة بنفسها:

فقد تهمل الزوجة نفسها ومظهرها ونظافتها بعد فترة طويلة من الزواج، وتستهنين بزينتها وجمالها متصورة أن زوجها لا يعنيه ذلك وأنه لن ينظر إلى غيرها أبداً ولن يفكر بالزواج من أخرى بعد العشرة الطويلة والأولاد. وهذا خطأ في التصور لدى المرأة العربية عموماً.

○ الملل في الحياة الزوجية:

الروتين والرتابة والملل من أعداء الحياة الزوجية، وهذا الملل يظهر عند الرجال أكثر منه عند النساء. فيبحث الرجل عن التجديد خارج المنزل.

○ زيادة الاهتمام بالأبناء :

المرأة العربية بعد زواجها وإنجابها الأبناء تتصور أن مهمتها هي المنزل والأولاد فيزداد اهتمامها الدائم بالأولاد وأعمال المنزل أكثر من الزوج وبالتالي يزداد إهمال الزوج بعد سنوات من الزواج، فيشعر الزوج بعدم أهميته لدى الزوجة وهامشيته في حياتها. وقد يسوء الوضع إذا كانت امرأة عاملة فيكون الترتيب: الأولاد ثم البيت ثم العمل ثم الأهل والأقارب والصدقات ثم الزوج.

○ إغفال الزوجة لاحتياجات الزوج العاطفية :

قد تغفل الزوجة الحاجات العاطفية للزوج من حب وحنان واحتواء ورعاية لأى سبب من الأسباب وبالتالي يشعر الزوج أن زوجته راغبة عنه ولا تبدي له التعاطف أو الرغبة فى تقبل عواطفه وهذا ما يسمى بفتور الحب.

○ عدم السعادة فى الحياة الزوجية مع كثرة الخلافات.

○ ضعف المستوى الثقافى ووجود فارق تعليمى بين الزوجين؛ فتكون الزوجة هنا كمرربة أطفال فقط وليست رفيقة درب كما ذكرنا فى الحالة السابقة ولا ننكر أن هذا سوء اختيار من البداية وعدم وضوح للرؤية.

○ عبوس الزوجة وشكواها المستمر من الأولاد والأعمال وهذا ما يسمى بالنكد الزوجى.

○ المشاكل الجنسية.

وهذه من أهم الأسباب فقد يكون هناك مشكلة بين الزوجين في التوافق الجنسي، وقد تتجاهل الزوجة رغبة زوجها، خاصة بعد مرور سنوات طويلة على الزواج، وقد يتميز الرجل بطاقة زائدة فتظهر هنا رغبة الزوج العارمة في الزواج بأخرى، ونحن نؤيد الزواج الشرعي ولا نؤيد قطعاً الخيانة الزوجية. أما بالنسبة للتعدد فيجب أن يكون بعلم الزوجة وتخييرها ومعاقبة كل من يلجأ من الرجال للحيلة حتى يضيع على الزوجة معرفة زواجه بأخرى فيرسل على عنوان وهمي أو توقيع مزور.... الخ .

○ الاختلاط غير الشرعي في العمل والمناسبات

وقد تتصور الزوجة خطأ أنه من المستحيل أن يتزوج زوجها بأخرى أو أن ينظر لغيرها، وهذا عدم فهم لطبيعة الشريك الآخر، وقد تستخف الزوجة ببعض الأمور التي يطلبها زوجها والتي تمثل عنده حيزاً كبيراً من الأهمية وليست لها قيمة عندها، وهذا خطأ في التصور ولا بد أن تعرف الزوجة ماذا يريد الآخر؟ ماذا يحب زوجها وماذا يكره؟

○ تغيير المسار

فقد يبدأ الزوج حياته الزوجية متديناً ويختار زوجته على هذا الأساس، ثم ينقلب على عقبيه ويغير حياته ويتساهل في أمور الدين، من الصلاة وغيض البصر وعدم الاختلاط بالنساء وغير ذلك.

○ المراهقة المتأخرة

وتظهر المراهقة المتأخرة عند الرجل بعد مرور سنوات طويلة على الزواج وتظهر بالتالي روح المغامرة والتجربة وإعادة الشباب وتحقيق الرجولة والبحث عن الجديد فتظهر هذه المشكلة. وقد تكون الصحبة السيئة دافعاً للزوج على الانحراف أو الخيانة.

تونس الأولى عربياً فى ظاهرة الطلاق

فقد بلغ عدد حالات الطلاق فى تونس رقماً قياسياً، مما يجعل تونس تحتل المرتبة الأولى عربياً والرابعة عالمياً فى نسبة الطلاق، هذا ما كشفت عنه دراسة حديثة لوزارة شؤون المرأة والأسرة التونسية، استعرضتها وكالة الأنباء الكويتية (كونا). وجاء فى الدراسة أن عدد حالات الطلاق فى البلاد العربية ارتفع ليصل إلى تسعة آلاف و١٢٧ حالة طلاق مقابل ١٦ ألف حالة زواج، معتبرة أن الأسباب الرئيسية لتفاقم هذه الظاهرة نشوب خلاف بين الزوجين لأسباب عديدة ومتنوعة وغالبا ما يكون ضحيتها الأطفال. وذكرت الدراسة استنادا إلى إحصائيات رسمية وشهادات مواطنين معنيين أن المشاكل الاجتماعية من ضعف الإمكانيات وعنف الزوج وتباعد المستوى الثقافى والاجتماعى بين الزوجين وعدم الشعور بالمسؤولية فى مقدمة أسباب الطلاق بواقع ٤٨,٣٪.

وتعود نسبة ٢٢,٧٪ من حالات الطلاق فى تونس إلى عقم أحد الزوجين أو إصابة أحدهما بالإعاقة، فيما تتسبب عذرية الفتاة قبل الزواج والخيانة وقلة الثقة والغيرة فى ١٥,٨٪ من حالات الطلاق.

ظاهرة الطلاق العاطفي بين الأزواج الجدد

إن أكثر ما ينتشر بين الأزواج الشباب، هو ما يسمى بظاهرة «الطلاق العاطفي» والمرتكز تحديداً على العلاقة العاطفية بين الزوجين ونقص التواصل وبرودة المشاعر، والتي تنتشر بين الأزواج الجدد أكثر من الأزواج متوسطى العمر، حيث تعتبر السنة الأولى من الزواج، هى أكثر مراحل الزواج صعوبة»، ويمكن وصفها بالمنطقة الغامضة والمجهولة لكلا الطرفين، خصوصاً أن أغلب الأزواج يفتقرون إلى مهارات التواصل والتعرف إلى الآخر، فيتمركز معظم الأزواج فى دوائر مغلقة حول ذواتهم، رافضين الانتقال إلى المرحلة الثانية، وإدخال الآخر فى محيطهم، مما يسبب تصدع العلاقة، الأمر الذى يعزز من البرود والبعد بين الطرفين ولجفاء، لافتقار العلاقة إلى وجود رصيد عاطفي يشفع للزوج عند الزوجة أو العكس، والذى يشجع المرء على تجديد التواصل وإصلاح المشكلة، ما يزيد من تأزم العلاقة.

أربعة تصنيفات

ويمكن تصنيف الزواج إلى أربعة تصنيفات، الأول «الزواج الجديد» الذى يمتد من سنة إلى ثلاث سنوات، والثانى «الزواج المتوسط» والممتد

بين ثلاث سنوات وحتى خمس سنوات، والثالث «الزواج القديم» والممتد من ست سنوات وحتى عشر سنوات، والرابع «الزواج العتيق» الذي يزيد على عشر سنوات. و حدوث الطلاق بعد هذه الفترة تكون له اعتبارات أخرى، حيث يواجه خلالها الزوجان مشكلات منذ البداية، لم تخضع للتطوير أو الإصلاح والتحسين، فتبدأ بالموت تدريجياً حتى تصل إلى الجذور، بينما يأتي تأخير الطلاق لأسباب عديدة، منها الخوف على الأبناء وصغر سنهم، إضافة إلى الأسباب المادية، مضيفاً أنه وبعد مرور سنوات، ومع تغير الأسباب، وعدم نجاح العلاقة، قد تصل المرأة إلى القناعة التامة بوجوب الطلاق، خصوصاً مع عدم وجود ما يعوقها عن ذلك، «حيث ترى حينها أن الطلاق هو أقل الضررين».

أخطاء شائعة

ويمكن أن نحدد عدداً من الأخطاء الشائعة التي تمارسها المرأة في حق زوجها، وأخرى يمارسها الرجل في حق زوجته، والتي تزيد من النفور بينهما، وانقطاع الرومانسية، وأقدم من خلالها العناصر الرئيسة لتتحول العلاقة بين الزوجين، إلى علاقة حب حميمة تعينهما على تفادي خطرهما وتبعاتها المدمرة، وذلك من خلال ملء النواقص والثغرات التي يواجهها الزوجان بعدد من النصائح الذهبية، التي قد تجنب بشكل كبير استفحال ظاهرة الخيانة الزوجية، والبحث عن الحب في مكان آخر.

وأكد أن هناك عدداً كبيراً من الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة، وهذا ما يعنى اختلافات كثيرة فى طريقة تفكير كل منهما، واحتياجاته النفسية والجسدية، إضافة إلى مفهوم الزوجة للعلاقة الحميمة، وافتقار كلا الطرفين للثقافة الجنسية، التى قد تدمر العلاقة الزوجية، مما يعنى أهمية معرفة وعى كل منهما باحتياجات الآخر وطرق التفكير المختلفة التى قد تعين على تفادى الكثير من سوء الفهم بين الزوجين.

ويجب أن تستوعب المرأة جميع الممارسات والطرق التى قد تساعدها على استخراج المشاعر المدفونة لدى الزوج، خصوصاً أن طبيعة الرجل عادة ما تميل إلى الكتمان والسكوت والبعد عن التعبير اللفظى عن المشاعر، فالمرأة لديها أسلحة إذا استخدمتها بفاعلية، ستتمكن من المحافظة على أسرتها، وزوجها، من أى مشكلات أو معوقات قد تواجهها.

اللمس

اللمس بين الأزواج أحد أهم العناصر المعززة للمحبة والمودة والدفع بينهم، وله آثاره الإيجابية على الزوجين، خصوصاً على الزوجة، حيث تؤكد دراسات عديدة أن المرأة التى تتلقى صوراً عديدة من الملامسة الدائمة لها من قبل زوجها، تقل نسبة تأثرها بخطوط التقدم فى العمر، بينما تنتظم دورتها الشهرية، وقابليتها للإخصاب، وقدرة تحملها

للضغوط الحياتية اليومية، وتؤكد الدراسات العالمية أهمية اللمس فسيولوجياً على المرأة، كما يعمل على الاستقرار النفسى بين الزوجين والاسترخاء، والتوازن العاطفى، بينما يقلل العناق بين الزوجين من أثر الإجهاد.

المساج

يعتبر المساج من الفنون الراقية والرائعة والتي يجب على الزوجين إجادتها، فكلمة «مساج» مستوحاة من اللمس وماله من تأثير فى الأعصاب ومن ثم جميع أحاسيس الجسم فهو يعمل على استرخاء العضلات ويشعر بالراحة التامة. وعن طريقه يمكن للزوجين الوصول إلى المتعة الكاملة.